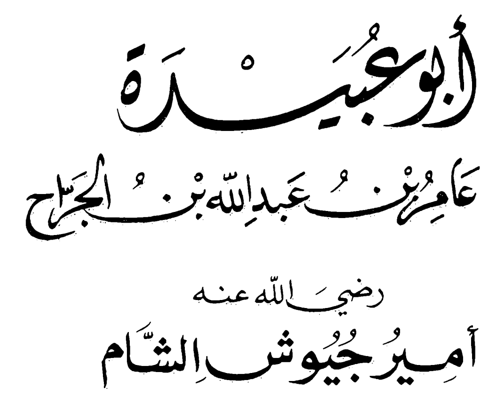
بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

- ٢٧ -



«لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ
ابنُ الجَرَّاحِ»

(حديث شريف)

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ لَوْ شِئْتُ لأَخَذْتُ
عَلَيْهِ بَعْضَ خُلُقِهِ إِلاَّ أَبَا عُبَيْدَةَ» .

(حديث شريف)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْـدُ لِلَّـهِ رَبِّ العَـالَمِينَ والصَّلاَةُ وَالسَّـلاَمُ عَلَـى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدِ بن عَبْدِاللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ اما بعد :

عُرِفَ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، كَقَائِـدٍ فَذٍّ، وَمَـعَ هَذِهِ الشُّهْرَةِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا فَقَدْ طَغَتْ عَلَيْهِ شُهْرَةُ خَالِدِ بن الـوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لاتِّـزَانِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَهُدُوئِهِ وَتَرَوِّيهِ، وَحَرَكِيَّةِ خَالِدٍ وَإِقْدَامِهِ، مَعَ اعْتِرَافِ خَالِدٍ لأَبِي عُبَيْدَةَ بِالفَضْلِ وَالقُدْرَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالقُوَّةِ.

لَقَدِ اخْتَلَفَتْ طَبِيعَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ القِتَالِيَّةُ عَنْ طَبِيعَةِ خَالِدٍ، إِذْ كَانَ خَالِدُ كَثِيرَ الحَرَكَةِ، سَرِيعَ التَّنَقُّلِ، يُحْسِنُ المُنَاوَرَةَ فِي القِتَالِ، وَيُجِيدُ خِدَاعَ العَدُوِّ فِي الحَرْبِ عَلَى حِينِ كَانَ أَبُـو عُبَيْدَةَ ثَابِتاً فِي مَكَانِهِ لاَ يُزَحْزِحُهُ مِنْهُ جَيْشٌ كَامِلٌ، يَتَحَرَّكُ نَحْوَ هَدَفِهِ بِهُدُوءٍ وَتَخْطِيطٍ وَإِذَا تَقَدَّمَ لاَ يَتَرَاجَعُ وَلَوْ حَاوَلَتْ دَحْـرَهُ

فِرْقَةٌ، وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ هِيَ الَّتِي أَبْرَزَتْ خَالِداً وَأَعْطَتْهُ شُهْرَتَهُ وَخَاصَّةً لَدَى الشَّبَابِ وَأَصْحَابِ العَاطِفَةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ كَثْرَةَ الحَرَكَةِ فِي القِتَالِ وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا، وَيَشْتَرِكُ القَائِدَانِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالقُوَّةِ وَإِنْ كَانَتَا أَبْرَزَ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى عكْسِ مَا يَظُنُّ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ تَأْثِيرِ خَلْفِيَّةِ ثَقَافَةِ الشَّبَابِ وَعَوَاطِفِهِمْ فِي مَحَبَّةِ الحَرَكَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا.

وَفَضْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَى خَالِدٍ لِسَابِقَتِهِ فِي الإِسْلاَمِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ عَلَى حِينِ كَانَ خَالِدُ لاَ يَزَالُ يَقِفُ فِي الصَّفِّ المُعَادِي لِلإِسْلاَمِ، هَذَا إِضَافَةً إِلَى أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ مِنَ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَائِدَيْ المُسْلِمِينَ وَجَزَاهُمَا اللَّهُ أَحْسَنَ الجَزَاءِ فِيمَا بَذَلاَهُ فِي بِنَاءِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ، وَأَرْجُو أَنْ أُوَفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَحِيحَةٍ عَنْ هَذَا البَطَلِ العَظِيمِ وَالقَائِدِ الفَذِّ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُ، لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْشَّبَابِ، وَلِيَسْتَفِيدُوا دُرُوساً مِنْ حَيَاتِهِ.

وَاللَّهَ نَسْأَلُ التَّوْفِيقَ وَسَدَادَ الخُطَا، وَالأَجْرَ مِنْ لَدُنْهِ، فَهُوَ وَلِيُّنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

أَبُو عُبَيْدَةَ

عَامِرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بن ِ الجَرَّاحِ مِنْ بَنِي فِهْرٍ أَحَدِ بُطُونِ قُرَيْشٍ وآخِرِهَا، وَيَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي فِهْرٍ، وَهُوَ قُرَيْشٌ. وَأُمُّهُ أُمَيمَةُ بِنْتُ غَنْمٍ.

وُلِدَ قَبْلَ البِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلاثَ عَشَرَةَ سَنَةً.

تَزَوَّجَ هِنْدَ بِنْتَ جَابِرِ بن ِ وَهَبٍ العَامِرِيَّةَ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ يَزِيداً وَعُمَيْراً وَقَدْ مَاتَا صَغِيرَيْن ِ، وَلَيْسَ لأَبِي عُبَيْدَةَ عَقِبٌ.

كَانَ رَجُلاً نَحِيفاً، مَعْرُوقَ الوَجْهِ، خَفِيفَ اللِّحْيَةِ، طِوَالاً، أَحْنَى(١)، أَثْرَمَ الثَّنِيَّتَيْن ِ(٢).

رَوَى عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) أحنى: منحنياً نحو الصدر.
(٢) أثرم الثنيتين: مكسور الأسنان.

وَسَلَّمَ، لَهُ حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَاثْنَا عَشَرَ حَدِيثاً فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ حَدِيثاً فِي مُسْنَدِ بَقِيٍّ، وَحَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي جَامِعِ أَبِي عِيسَى.

رَوَى عَنْهُ عَدَدٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ: جَابِرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، وَالعِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ، وَأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، وَسَمُرَةُ بنُ جُنْدَبٍ، وَأَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ غَنْمٍ. كَمَا رَوَى هُوَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.

إِسْلامُ أَبِي عُبَيْدَةَ

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَعُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِالأَسَدِ المَخْزُومِيُّ، وَعُبَيْدَةُ بنُ الحَارِثِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلامَ، وَأَنْبَأَهُمْ بِشَرَائِعِهِ، فَأَسْلَمُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الأَرْقَمَ كَانَ مَعَهُمْ يَوْمَ أَسْلَمُوا وَأَسْلَمَ مَعَهُمْ.

وَمُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَلَعَ كُلَّ مَا وَرِثَهُ مِنْ مُخَلَّفَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وَمَعَ طَبْعِهِ الهَادِيءِ، وَصَمْتِهِ الدَّائِمِ لَمْ يُسْمَعْ عَنْهُ خَبَرٌ، وَلَمْ يُلْفِتِ النَّظَرَ مَا أَصَابَهُ مِنْ أَذىً فِي سَبِيلِ إِسْلاَمِهِ. يُنَفِّذُ تَعَالِيمَ الإِسْلاَمِ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ، وَيَتَقَيَّدُ بِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِصُورَةٍ تَامَّةٍ.

يَتَلَقَّى بِأَدَبٍ، وَيَتَصَرَّفُ بِحُدُودِ مَا أُمِرَ، يُنْفِقُ بِصَمْتٍ، وَيُسَاعِدُ بِهُدُوءٍ. يَكُونُ أَوَّلَ المُتَطَوِّعِينَ، وَأَسْبَقَ المُنَفِّذِينَ. هَمُّهُ الطَّاعَةُ، وَحَيَاتُهُ الإِسْلاَمُ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلاَ يُبَالِي بِهِ. وَقَضَى بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ فِي مَكَّةَ وَهَذَا دَيْدَنُهُ.

فِي الحَبَشَةِ

وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ، لِعَدْلِ مَلِكِهَا، وَبُعْدِهَا عَنْ أَرْضِ العَرَبِ، وَعَدَمِ نُفُوذِ وَسُلْطَانِ قُرَيْشٍ عَلَى أَهْلِهَا، وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُهَا أَخَفَّ وَطْأَةً عَلَى المُسْلِمِينَ لأَنَّهُمْ أَهْلَ كِتَابٍ، يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَقَدْ تَكُونُ آثَارُ الوِحْدَانِيَّةِ بَاقِيَةً عِنْدَ بَعْضِ رُهْبَانِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ،

وَعِنْدَهُـمْ عِلْـمٌ بِالنَّبِـيِّ الـذي سَيَظْهَـرُ آخِـرَ الأيَّامِ فِي أَرْضِ العَرَبِ .

هَاجَـرَ عَشْـرَةٌ مِنَ المُسْـلِمينَ فِي المَـرَّةِ الأولَـى وَعَلَيْهِـمْ عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونَ، ثُمَّ تَتَابَعَ المُسْلِمُونَ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِـمْ أَبُـو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ . وَلَكِنْ لَمْ يَطُلْ بِهِمُ المَقَامُ لِأسْبَابٍ كَثيرَةٍ، وَمِنْهَا مَا أُشِيعَ عَنْ إسْلاَمِ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَادَ عَدَدٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ لاَ يَزِيدُونَ عَلَى ثَلاَثَـةٍ وَثَـلاَثينَ رَجُـلاً، كَانَ أَبُـو عُبَيْدَةَ فِيمَـا بَيْنَهُمْ، هَادِئاً لاَ تَكَادُ تَحُسُّ أَنَّهُ مَعَهُمْ .

رَجَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى مَكَّةَ مُسْتَخْفِيَاً كَأَكْثَرِ إِخْوَانِهِ إِذْ لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَكَّةَ إلاَّ مُسْتَخْفِيَاً أَوْ بِجِـوَارٍ، وَعَـادَ يُعَانِـي مَا كَانَ يُعَانِي مِنْ قَبْلُ، وَلَكنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَسْرُورٌ لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُلاَزَمَتِهِ إِيَّاهُ، وَتَلَقِّيهِ مِنْهُ، وَاسْتِمَاعِهِ إِلَيْهِ، وَبَقِيَ مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِ سَنَوَاتٍ وَهَذِهِ حَالُهُ .

الهِجْرَةُ إِلَى المَدِينَةِ

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، وَانْتَقَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ، وَنَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ .

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَآخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بن مَسْلَمَةَ وَفِي رِوَايَةٍ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَالِم مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

وَأُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالقِتَالِ، وَانْطَلَقَتِ السَّرَايَا وَالغَزَوَاتُ تَمْسَحُ أَرْضَ المَعْرَكَةِ المُرْتَقَبَةِ، وَشَارَكَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِخْوَانَهُ فِي هَذِهِ السَّرَايَا وَالغَزَوَاتِ، حَتَّى تَوَّجَتْ ذَلِكَ غَزْوَةُ بَدْرٍ.

فِي بَدْرٍ

وَخَرَجَ المُسْلِمُونَ إِلَى بَدْرٍ لِلِقَاءِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ فَالتَقَوْا بِقُرَيْشٍ القَادِمَةِ بِخُيَلائِهَا وَجَبَرُوتِهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ. وفي هذه المعركة الفاصلة سَقَطَتْ رَوَابِطُ القَرَابَةِ، فَانْهَارَتِ الأُبُوَّةُ، وَزَالَتِ البُنُوَّةُ، وَتَحَطَّمَتِ الأُخُوَّةُ فِي الدَّمِ وَالصِّلَةُ فِي النَّسَبِ وَالْتَقى بِالسَّيْفِ الأَهْلُ مَعَ ذَوِيهِمْ وَالأَحِبَّةُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ. وَانْطَلَقَ عَبْدُاللَّهِ بنُ الجَرَّاحِ وَالِدُ أَبِي عُبَيْدَةَ يُفَتِّشُ عَن ابْنِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ لَيُرْدِيهِ صَرِيعاً وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ بَلْ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ عَقِيدَتِهِ الَّتِي آذَاهُ بِهَا ـ حَسَبَ رَأْيِهِ، وَحَاوَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرٌ عَبَثاً الإِبْتِعَادَ عَنْ أَبِيهِ فَلَمْ يُفْلِحْ وَحَرَصَ عَلَى البُعْدِ عَنْ لِقَائِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَمَا كَانَ إِلاَّ

أَنْ تَصَدَّى وَصَرَعَهُ لاَ يُبَالِي بِأَيَّةِ آصِرَةٍ مِنْ أَوَاصِرِ الدُّنْيَا فَالإِيمَانُ لاَ يَلْتَقِي مَعَ الشِّرْكِ مَهْمَا كَانَتْ وَشَائِجُ الدَّمِ بَيْنَهُمَا وَالإِسْلاَمُ لاَ يَجْتَمِعُ مَعَ الكُفْرِ مَهْمَا كَانَتْ رَوَابِطُ القَرَابَةِ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، واسْتَعْلَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي إِيمَانِهِ، وَنَجَحَ فِي امْتِحَانِهِ، وَدَاسَ بِأَقْدَامِهِ صِلَةَ القُرْبَى الَّتِي دَفَنَهَا المُسْلِمُونَ يَوْمَذَاكَ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ إِنْ لَمْ تَكُنِ العَقِيدَةُ حَامِيَتَهَا وَمُرَسِّخَةً لَهَا. وَلَمْ يَكُنْ أَبُو عُبَيْدَةَ الَّذِي صَرَعَ أَشَدَّ النَّاسِ قَرَابَةً فِي الدَّمِ لَهُ فَقَدِ التَقَى وَجَهاً لِوَجْهٍ الأَبْنَاءُ مَعَ آبَائِهِمْ وَالإِخْوَةُ مَعَ إِخْوَتِهِمْ وَأَبْنَاءُ العَشِيرَةِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَأَفْرَادُ الأُسْرَةِ الوَاحِدَةِ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهُمْ فِي جَانِبٍ، وَلاَ يَجْمَعُ أَفْرَادَ الجَانِبِ الوَاحِدِ إِلاَّ العَقِيدَةُ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ كُلِّ صِلَةٍ وَمُنْطَلَقُ كُلِّ رَابِطَةٍ، وَعَلَى قَوَاعِدِهَا تَتَكَوَّنُ الأُمَمُ، وَتَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَتَلاَقَى، وَتَتَمَايَزُ الأَفْرَادُ فَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ.

فِي أُحُدٍ

وَاسْتَدَارَ العَامُ عَلَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَزَحَفَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ المَدِينَةِ بِقُوَّاتٍ أَكْثَفَ وَجُمُوعٍ أَضْخَمَ وَعَتَادٍ أَقْوَى، مُجْمِعَةً عَلَى الانْتِقَامِ، وَمُصَمِّمَةً عَلَى الثَّأْرِ، وَخَرَجَ المُسْلِمُونَ لِلِقَائِهَا، وَكَانَ المُنَافِقُونَ عَامِلاً مُخَذِّلاً وَعُنْصُراً مُثَبِّطاً ثُمَّ انْسَحَبُوا مِنَ

الجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ تَارِكِينَ المُؤْمِنِينَ وَحْدَهُمْ عَلَى قِلَّةٍ يُلاَقُونَ المُشْرِكِينَ، وَلَمْ يُبَالِ المُسْلِمُونَ فَقَدِ ارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتُهُمْ بَعْدَ أَنْ نَقى صَفُّهُمْ، وَانْتَفَى مِنْهُمُ الخَبَثُ. وَرَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الصُّفُوفَ، وَوَضَعَ الرُّمَاةَ عَلَى الجَبَلِ فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَأَعْطَى التَّعْلِيمَاتِ، وَأَمَرَ الرُّمَاةَ أَلاَّ يُغَادِرُوا مَوَاضِعَهُمْ مَهْمَا كَانَتِ النَّتَائِجُ. وَبَدَأَ القِتَالُ، وَالْتَحَمَتِ الصُّفُوفُ، وَاشْتَبَكَ المُقَاتِلُونَ، وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى قُرَيْشٍ، وَوَلَّتِ الأَدْبَارَ، وَتَبِعَهَا المُسْلِمُونَ، وَظَهَرَ لِلنَّظَّارَةِ أَنَّ المَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ وَخَذَلَ اللَّهُ قُرَيْشاً، فَتَرَكَ الرُّمَاةُ مَوَاضِعَهُمْ وَدَارَ خَالِدُ خَلْفَ الجَبَلِ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ فَوَقَعَ المُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْنِ وَانْقَسَمُوا فِرْقَتَيْنِ الأُولَى كَانَتْ تُلاَحِقُ المُشْرِكِينَ وَالأُخْرَى حَوْلَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَارْتَبَكَ الصَّفُّ الإِسْلاَمِيُّ وَهَجَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعُصْبَةِ الَّتِي حَوْلَهُ وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَأَبُو عُبَيْدَةُ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَأَبُو طَلْحَةَ، وَنُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ مَعَ زَوْجِهَا وَعَدَدٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى رَأْسِهِمْ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَقَتَادَةُ بنُ النُّعْمَانِ.

وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، وَخَلَصَ الأَعْدَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَمَاهُ عُتْبَةُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ اليُمْنَى السُّفْلَى، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَى، وَشَجَّهُ عَبْدُاللَّهِ بنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ فِي جَبْهَتِهِ، وَجَرَحَ ابْنُ قُمَيْئَةَ وَجْنَتَهُ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ المِغْفَرِ[1] فِي وَجْنَتِهِ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فِي حُفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ الَّتِي حَفَرَهَا أَبُو عَامِرٍ الفَاسِقُ. وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فَنَزَعَ إِحْدَى الحَلْقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ، ثُمَّ نَزَعَ الأُخْرَى، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الأُخْرَى فَكَانَ سَاقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ. وَصَعَدَ المُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ الكَرِيمِ الجَبَلَ، وَانْتَهَتِ المَعْرَكَةُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الحَزِينَةِ.

وَشَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثَبَتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ مَنْ ثَبَتَ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدَ بنَ

---

(١) المغفر: حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بِهِ المُتَسَلِّحُ.

مَسْلَمَةَ فِي سَرِيَّةٍ قَوامُهَا عَشْرَةُ أَنْفَارٍ إِلَى ذِي القِصَّةِ مِنْ بِلاَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ لِلإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا يَحْشُدُونَ جُموعَهُمْ لِلإِغَارَةِ عَلَى المَدِينَةِ، وَيَنْوُونَ أَخْذَ إِبِلِ المُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنَّ الأعْرَابَ قَدْ شَعَرُوا بِقُدُومِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ إِلَيْهِمْ فَكَمَنُوا لَهُ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ السَّرِيَّةِ إِلاَّ أَمِيرُهَا الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ القَتْلَى جَرِيحاً فَظُنَّ أَنَّهُ مِنْهُمْ، فَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ أَنِ ارْتَحَلَ القَوْمُ عَنْهُمْ.

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ أَرْبَعِينَ مُقَاتِلاً فِي الشَّهْرِ نَفْسِهِ وَهُوَ شَهْرُ رَبِيعٍ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ سِتٍّ.

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِالسَّرِيَّةِ بَعْدَ صَلاَةِ المَغْرِبِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَبَاتُوا لَيْلَتَيْنِ يَمْشُونَ حَتَّى وَافَوْا ذِي القِصَّةِ فِي جَنُوبِ شَرْقِيِّ المَدِينَةِ مَعَ عِمَايَةِ الصُّبْحِ، فَصَلُّوا الفَجْرَ، وَأَغَارُوا عَلَى القَوْمِ، فَفَرَّ الأعْرَابُ فِي الجِبَالِ مُتَفَرِّقِينَ، وَتَمَكَّنَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَخْذِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَاسْتَاقَ إِبِلاً لَهُمْ، وَرِثَّةً مِنْ مَتَاعٍ وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ، وَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الغَنائِمَ بَيْنَ مُقَاتِلِي السَّرِيَّةِ، بَعْدَ أَنِ احْتَجَزَ خُمْسَهُ.

فِي ذَاتِ السَّلاَسِلِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمْرَو بنَ العَاصِ إِلَى قَبِيلَةِ بِلِيٍّ يَسْتَأْلِفُهُمْ حَيْثُ كَانَتْ جَدَّتُهُ أُمُّ وَالِدِهِ العَاصِ بنِ وَائِلٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأَرْضِ جُذَامٍ، يُقَالُ لَهُ السُّلْسُلُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ خَافَ فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَمِدُّهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُوَّةً مِنْ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ وَقَالَ لَهُ حِينَ وَجَّهَهُ: لاَ تَخْتَلِفَا. فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرٍو، فَقَالَ عَمْرُو لأَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَا الأَمِيرُ وَقَدْ جِئْتُمْ إِلَيَّ مَدَداً، قَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: لاَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

قَالَ عَمْرُو: بَلْ أَنْتَ مَدَدٌ إِلَيَّ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا عَمْرُو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِي: لاَ تَخْتَلِفَا، وَإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي أَطَعْتُكَ.

قَالَ عَمْرُو: فَإِنِّي الأَمِيرُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مَدَدٌ لِي.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَدُونَكَ.

فَصَلَّى عَمْرُو بِالنَّاسِ .

لَقَدْ كَانَ أَمْرُ الدُّنْيَا هَيِّناً عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَلَمْ يَرْغَبْ فِي الإِمَارَةِ، وَلَمْ يَعْمَلْ لَهَا، وَلاَ يُرِيدُ المُنَازَعَةَ فِي أَمْرٍ لاَ يَعُودُ عَلَى المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ، وَلاَ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ حُكْمٌ. لَقَدْ صَغُرَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ فَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ .

وَبَلَغَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ خَمْسَمِائَةِ مُقَاتِلٍ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ مَدَدُ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَارُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّى وَطِئُوا بِلاَدَ بِلِيٍّ وَدَوَّخُوهَا، وَكُلَّمَا انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعٍ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ بِهَذَا المَوْضِعِ جَمْعٌ فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِمْ تَفَرَّقُوا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَقْصَى بِلاَدِ بِلِيٍّ وَعَذْرَةَ وَبِلْقِينَ، ثُمَّ الْتَقَوْا بِجَمْعٍ لَيْسَ بِالكَثِيرِ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، وَحَمَلَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتَفَرَّقَ الأَعْدَاءُ فِي البِلاَدِ، وَأَقَامَ عَمْرٌو أَيَّاماً لاَ يَسْمَعُ لَهُمْ بِجَمْعٍ وَلاَ مَكَانٍ صَارُوا فِيهِ، وَكَانَ يَبْعَثُ أَصْحَابَ الخَيْلِ فَيَأْتُونَ بِالشَّاءِ وَالإِبِلِ، فَكَانُوا يَذْبَحُونَ وَيَنْحَرُونَ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ تَكُنْ غَنَائِمُ تُقَسَّمُ. وَرَجَعُوا بَعْدَهَا إِلَى المَدِينَةِ.

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى سَاحِلِ البَحْرِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَمَاعَةً عَدَدُهُمْ

ثَلاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ . قَالَ جَابِرٌ: وَأنا فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ، فَأَتَوْا أَبَا عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الجَيْشِ ، فَجَمَعَ كُلَّهُ فِي مِزْوَدِ تَمْرٍ، فَكَانَ يَقُوتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى فَنِيَ، وَلَمْ يَكُنْ يُصِيبُنَا إِلاَّ تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي التَّمْرَةُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدُهَا حِينَ فَنِيَتْ. قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى البَحْرِ فَإِذَا حُوتٌ مِثْلَ الظَّرِبِ، قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الجَيْشُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

وَقَدِ اضْطَرَّ أَفْرَادُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ أَنْ يَأْكُلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالخَبَطِ، إِذْ يُنْفَضُ بِالمَخَابِطِ وَيُجَفَّفُ وَيُطْحَنُ لِذَا سُمِّيَتِ السَّرِيَّةُ (سَرِيَّةُ الخَبَطِ) أَوْ جَيْشُ الخَبَطِ.

وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدَ أَفْرَادِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ.

مَعَ وَفْدِ نَجْرَانَ

وَفِي عَامِ الوُفُودِ العَامِ التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابَاً إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ يَدْعُوهُمْ فِيهِ إِلَى الإِسْلاَمِ ؛ فَلَمَّا قَرَؤُوهُ بَعَثُوا وَفْداً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمِ ، فِي المَدِينَةِ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَأَلَهُمْ، وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبَاً، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فِيهِمْ أَبُو حَارِثَةَ ـ أُسْقُفُهُمْ وَحِبْرُهُمْ ـ وَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ قَدْ شَرَّفُوهُ، وَمَوَّلُوهُ، وَأَخدَمُوهُ، وَبَنُوا لَهُ الكَنَائِسَ.

وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُبَاهِلَهُمْ، فَأَبَى كِبَارُهُمْ ذَلِكَ، وَخَافُوا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَوْهُ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابَاً، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الخَرَاجَ. ثُمَّ قَالَ أُسْقُفَا نَجْرَانَ: العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ: ابْعَثْ مَعَنَا أَمِينَاً حَقَّ أَمِينٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأَبْعَثَنَّ مَعكُمْ رَجُلاً أَمِينَاً حَقَّ أَمِينٍ» فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ» فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ».

فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

لَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ، وَشَعَرَ الأَنْصَارُ أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى خَلِيفَةٍ مِنْهُمْ يَتَوَلَّى شُؤُونَ مَدِينَتِهِمْ وَأَمْرَ المُسْلِمِينَ، فَمَدِينَتُهُمْ مُهَدَّدَةٌ مِنَ الأَعْرَابِ وَرِجَالِ القَبَائِلِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ إِلَى

قُلُوبِهِمْ وَإِنَّمَا أَسْلَمُوا خَوْفاً مِنَ القُوَّةِ.

شَعَرَ الأَنْصَارُ أَنَّهُمْ مُهَدَّدُونَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآوَوْا المُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَدِينَتَهُمْ قَاعِدَةَ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَشَعَرُوا أَنَّ المُهَاجِرِينَ رُبَّمَا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ وَقَدْ أَسْلَمَتْ مَدِينَتُهُمْ وَدَانَ بِالإِسْلاَمِ ذَوُوهُمْ، وَقَدْ فَكَّرُوا بِهَذَا بَعْدَ الفَتْحِ مُبَاشَرَةً، مِنْ هُنَا كَانَ تَفْكِيرُ الأَنْصَارِ بِشُؤُونِ الدَّوْلَةِ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ - حَسْبَمَا تَصَوَّرُوا -.

وَكَانَ المُهَاجِرُونَ مَشْغُولِينَ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجْهِيزِهِ وَدَفْنِهِ لِذَا لَمْ يُفَكِّرُوا بَعْدُ بِشُؤُونِ خَلِيفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعَمَلِ لِحِمَايَةِ المَدِينَةِ وَالدَّوْلَةِ، وَلَمْ يَكُنِ الأَنْصَارُ فِي بُعْدٍ عَنْ هَذَا أَيْضاً.

اجْتَمَعَ الأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَبَايَعُوا أَحَدَ وُجَهَائِهِمْ وَهُوَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنَ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَسَعْدُ سَيِّدُ الخَزْرَجِ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى جَانِبِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، حَيْثُ المُسْلِمُونَ مُجْتَمِعُونَ يَعْمَلُونَ لِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَنَادَى مِنْ وَرَاءِ الجِدَارِ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَرَفَضَ عُمَرُ الخُرُوجَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ، ثُمَّ كَرَّرَ الرَّجُلُ النِّدَاءَ وَأَعْلَمَهُ عِنِ الاجْتِمَاعِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَانْطَلَقَا إِلَيْهِمْ، وَالْتَقَيَا بِأَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ فِي الطَّرِيقِ فَسَارَ مَعَهُمَا. ثُمَّ الْتَقَوْا مَعَ رَجُلَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ هُمَا: عُوَيْمُ بنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بنُ عَدِيٍّ، فَقَالاَ: مَا عَلَيْكُمْ مِنَ الأَنْصَارِ، لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَا تُحِبُّونَ وَلَكِنْ أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ. غَيْرَ أَنَّ المُهَاجِرِينَ الثَّلاَثَةَ تَابَعُوا السَّيْرَ وَدَخَلُوا عَلَى سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَالنَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ، فَجَرَتْ كَلِمَاتٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ كَانَ الهَدَفُ مِنْهَا الحِرْصَ عَلَى حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالمُسْلِمِينَ، وَتَرَاجَعَ الأَنْصَارُ عَنْ مَوقِفِهِمْ عِنْدَمَا عَلِمُوا أَنَّ المُهَاجِرِينَ سَيَبْقَوْنَ فِي المَدِينَةِ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَأَى أَنْ يَكُونَ أَمِيرٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ يَعْقِبُهُ آخَرُ مِنَ الأَنْصَارِ وَهَكَذَا، فَوَقَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ نَصَرَ وَآزَرَ، فَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ، فَرَضِيَ الأَنْصَارُ بِإِمْرَةِ المُهَاجِرِينَ.

أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَبِيَدِ عُمَرَ وَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ

أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ ، فَقَالاَ : لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يَكُونَ فَوْقَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَنْتَ صَاحِبُ الغَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَثَانِيَ اثْنَيْنِ ، وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ اشْتَكَى فَصَلَّيْتَ بِالنَّاسِ ، فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ .

فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ وَبَايَعَهُ ، وَتَسَابَقَ النَّاسُ عَلَى البَيْعَةِ ، فَبَايَعَ كُلُّ مَنْ فِي السَّقِيفَةِ بِاسْتِثْنَاءِ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ، لِحَرَاجَةِ مَوْقِفِهِ وَسُوءِ صِحَّتِهِ .

لَمْ يَكُنْ تَرْشِيحُ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ بَابِ المُجَامَلَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَإِنَّمَا مِنْ بَابِ الأَهْلِيَّةِ وَالاعْتِرَافِ بِالفَضْلِ لَهُمَا ، فَعُمَرُ مَعْرُوفٌ بِمَكَانَتِهِ ، وَكَذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَسَابِقَتُهُ فِي الإِسْلاَمِ ، وَشَجَاعَتُهُ ، وَطَاعَتُهُ ، وَدَوْرُهُ ، وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْهُ أَنَّهُ أَمِينُ الأُمَّةِ ، وَإِرْسَالُهُ مَعَ وَفْدِ نَجْرَانَ ، وَتَسْلِيمُهُ إِمْرَةَ السَّرَايَا الَّتِي تَضُمُّ سَرَاةَ المُهَاجِرِينَ وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَوَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ كُلُّ هَذَا يُؤَهِّلُهُ لِيَتَسَلَّمَ خِلاَفَةَ المُسْلِمِينَ ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَدُ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ .

فِي خِلاَفَةِ الصِّدِّيقِ

لَمَّا انْتَهى الصِّدِّيقُ مِنْ حُرُوبِ الرِّدَّةِ، وَجَّهَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى العِرَاقِ، ثُمَّ عَبَّأَ الجُيُوشَ إِلَى الشَّامِ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَةَ جُيُوشٍ يَقُودُهَا:

١ ـ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَوِجْهَتُهُ دِمَشْقُ، ثُمَّ أَمَدَّهُ الصِّدِّيقُ بِأَخِيهِ مُعَاوِيَةَ بِجُنْدٍ كَثِيرٍ، وَمَرَّ عَلَى ذِي المَرْوَةِ فِي وَادِي القُرَىَ وَأَخَذَ بَعْضَ مَنْ بَقِيَ مِنْ جُنْدِ خَالِدِ بنِ سَعِيدٍ بَعْدَ أَنْ تَرَاجَعَ أَمَامَ الرُّومِ فِي مَرْجِ الصُّفَّرِ.

٢ ـ عَمْرُو بنُ العَاصِ: وَوِجْهَتُهُ فِلِسْطِينُ.

٣ ـ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ: وَوِجْهَتُهُ الأرْدُنُ.

٤ ـ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: وَوِجْهَتُهُ حِمْصُ.

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ أَمِيرَ الجَمِيعِ عَنْدَمَا يَلْتَقُونَ وَيَدْخُلُونَ الحَرْبَ مَعاً.

وَجَاءَتْ جُيُوشُ الرُّومِ بِأَعْدَادٍ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ وَمائَتَي أَلْفٍ عَلَى حِيْنَ أَنَّ عَدَدَ المُسْلِمِينَ لاَ يَزِيدُ عَلَى وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَيُضَافُ إِلَيْهِمْ سِتَّةُ آلاَفٍ مَعَ عِكْرِمَةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ رِدْفاً لِلْجُيُوشِ وَفِي مُؤَخِّرَتِهِمْ.

تَشَاوَرَ الأمَرَاءُ وَاتَّفَقُوا أَنْ يُقَاتِلُوا مُجْتَمِعِينَ، وَكَتَبُوا إِلَى الصِّدِّيقِ يُعْلِمُونَهُ بِرأْيِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ المَدَدَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى مَوْقِعِ اليَرْمُوكِ لِيَكُونَ مَيْدَانَ القِتَالِ. وَكَتَبَ الصِّدِّيقُ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ بِالعِرَاقِ يَأْمُرُهُ بِالسَّيْرِ إِلَى اليَرْمُوكِ لِدَعْمِ المُسْلِمِينَ هُنَاكَ.

وَصَلَ خَالِدُ وَتَسَلَّمَ الإِمْرَةَ، وَوَزَّعَ القِيَادَةَ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَائِدَ القَلْبِ، وَيُعَاوِنُهُ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، ثُمَّ طَلَبَ خَالِدُ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يَكُونَ فِي المُؤَخَّرَةِ حَتَّى لاَ يَتَرَاجَعَ أَحَدٌ خَجَلاً مِنْهُ. وَنَشِبَ القِتَالُ وَأَمِيرُ المُسْلِمِينَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَصَلَ مَحْمِيَّةُ بنُ زَنِيمٍ يَحْمِلُ البَرِيدَ، وَسَلَّمَهُ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ وَفِيهِ خَبَرُ وَفَاةِ الصِّدِّيقِ، وَتَوْلِيَةِ عُمَرَ، وَعَزْلِ خَالِدٍ، وَقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ. وَسُئِلَ خَالِدُ عَمَّا حَمَلَ البَرِيدُ، قَالَ: السَّلاَمَةُ وَقُرْبَ وُصُولِ الإِمْدَادِ. إِذْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُشْغِلَ المُسْلِمِينَ بِالحُزْنِ عَلَى خَلِيفَتِهِمُ الصِّدِّيقِ، والحَدِيثِ عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَخَالِدٍ، فَتَحْقِيقُ النَّصْرِ هُوَ المَطْلُوبُ، وَالقِيَادَةُ أَمْرٌ ثَانَوِيٌّ لاَ تُهِمُّ المُسْلِمَ، فَهُوَ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لاَ فِي سَبِيلِ الدُّنْيَا وَتَحْقِيقِ بَعْضِ المَغَانِمِ، وَلاَ مِنْ أَجْلِ الشُّهْرَةِ وَتَسَلُّمِ المَنَاصِبِ.

وَلَمَّا تَقَارَبَ الطَّرَفَانِ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ تَقَدَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَمَعَهُمَا ضِرَارُ بنُ الأَزْوَرِ، وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ، وَأَبُو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وَنَادَوْا: إِنَّمَا نُرِيدُ أَمِيرَكُمْ لِنَجْتَمِعَ بِهِ، فَأُذِنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ عَلَى تَذَارُقٍ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي خَيْمَةٍ مِنْ حَرِيرٍ. فَقَالَ الصَّحَابَةُ: لاَ نَسْتَحِلُّ دُخُولَهَا، فَأَمَرَ لَهُمْ بِفَرْشٍ بُسُطٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالُوا: لاَ نَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ، فَجَلَس مَعَهُمْ حَيْثُ أَحَبُّوا. وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لاَ يَقْبَلُونَ الإِسْتِهَانَةَ بِشَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مَهْمَا قَلَّ، وَمَعَ أَنَّ لِبْسَ الحَرِيرِ لَيْسَ فِي مَوْقِفِهِمْ هَذَا، وَهُوَ المُحَرَّمُ عَلَيْهِمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ رَغِبُوا أَنْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّدَّةِ، وَرَفْضِ هَذِهِ الأُمُورِ وَأَمْثَالِهَا، وَهَذَا مَا جَعَلَهُمْ يَعْظُمُونَ فِي أَعْيُنِ أَعْدَائِهِمْ، فَيُسَايِرُونَهُمْ، وَيَرْتَفِعُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، الأَمْرُ الَّذِي وَضَعَهُمْ حَيْثُ وَضَعُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِشَخْصِيَّتِهِمْ فَكَانَ لَهُمْ مَا تَمَنَّوا. وَعَرَضَ الصَّحَابَةُ عَلَى الأَعْدَاءِ الإِسْلاَمَ، أَوِ الجِزْيَةَ، أَوِ السَّيْفَ، وَكَانَ مِنْ تَعَنُّتِ الرُّومِ وَطُغْيَانِهِمْ أَنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ القِتَالِ.

وَفِي اليَوْمِ الخَامِسِ مِنَ القِتَالِ خَرَجَ (غِرِيغُورِي) قَائِدُ مَيْمَنَةِ الرُّومِ، وَطَلَبَ المُبَارَزَةَ، فَخَرَجَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَحَاوَلَ

خَالِدُ وَغيْرُهُ أَنْ يَثْنِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَنِ المُبَارَزَةِ وَيَتَقَدَّمَ لَهَا خَالِدُ، وَلَكِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ أَصَرَّ، وَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ غِرِيغُورِي فَارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتُ المُسْلِمِينَ. وَمَا انْتَهَى ذَلِكَ اليَوْمُ إِلاَّ وَفَرَّ الرُّومُ مُخَلِّفِينَ وَرَاءَهُمْ خَمْسَةً وَثَلاثِينَ أَلفَ قَتِيلٍ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَتِ المَعْرَكَةُ سَلَّمَ خَالِدُ القِيَادَةَ لأَبِي عُبَيْدَةَ وَمَا جَاءَهُ مِنَ البَرِيدِ، وَعَزَّى المُسْلِمِينَ بِأَبي بَكْرٍ، وَأَعْلَمَهُمْ بِتَوْلِيَةِ عُمَرَ.

فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ

تَابَعَ المُسْلِمُونَ مَنْ فَرَّ مِنَ الرُّومِ فَصَالَحَ أَهْلُ دِمَشْقَ وَأَهْلُ حِمْصَ المُسْلِمِينَ. أَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَدِ انْتَقَلَ بِبَقِيَّةِ الجَيْشِ مِنَ اليَرْمُوكِ إِلَى مَرْجِ الصُّفَّرِ، وَجَاءَهُ الخَبَرُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ تَجَمَّعُوا فِي فِحْلَ بِغَوْرِ الأُرْدُنِ، وَأَنَّ قُوَّاتٍ مِنَ الرُّومِ قَدْ عَادَتْ إِلَى حِمْصَ وَدِمَشْقَ فَتَوَقَّفَ لاَ يَدْرِي بِأَيِّ الجَبْهَتَيْنِ يَبْدَأُ، فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يَسْتَشِيرُهُ، وَيَصِفُ لَهُ المَوْقِفَ، فَجَاءَهُ الجَوَابُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِدِمَشْقَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ مَمْلَكَتِهِمْ. وَأَنْ يُشَاغِلَ أَهْلَ فِحْلَ بِخُيُولٍ تَكُونُ تِلْقَاءَهُمْ، فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ فُتِحَتْ دِمَشْقُ قَبْلَهَا فَسِرْ

أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، وَاسْتَخْلِفْ عَلَى دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِحْلَ فَسِرْ أَنْتَ وَخَالِدُ إِلَى حِمْصَ، وَاتْرُكْ عَمْراً وَشُرَحْبِيلَ عَلَى الأَرْدُنِ وَفِلِسْطِينَ.

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَبَا الأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ إِلَى طَبَرَيَّا لِيَفْتَحَهَا، وَلِيَكُونَ رِدْءاً لِلْمُسْلِمِينَ الْمُتَّجِهِينَ إِلَى دِمَشْقَ، وَحَائِلاً دُونَ وُصُولِ إِمْدَادَاتٍ رُومِيَّةٍ إِلَى دِمَشْقَ الَّتِي نَقَضَ أَهْلُهَا الصُّلْحَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّ الرُّومَ لاَ تَزَالُ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي الْمَنَاطِقِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَهْلُ حِمْصَ.

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاتِّجَاهِ دِمَشْقَ، وَقَدْ جَعَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ فِي القَلْبِ، وَسَارَ هُوَ فِي المَيْسَرَةِ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ فِي المَيْمَنَةِ، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ عَلَى الخَيْلِ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى الرِّجَالَةِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ ذَا الكِلاَعِ لِيَكُونَ فِي فِرْقَةٍ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمْصَ لِتَحُولَ دُونَ وُصُولِ إِمْدَادَاتٍ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، كَمَا بَعَثَ أَبَا الدَرْدَاءِ فِي فِرْقَةٍ أُخْرَى لِتَكُونَ فِي بَرْزَةَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ رِدْءاً لِلْجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِحِصَارِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ. وَبَعَثَ أَمَامَهُ طَلِيعَةً بِإِمْرَةِ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَنْطِقَةِ اليَرْمُوكِ بَشِيرِ بنِ كَعْبٍ فِي خَيْلٍ هُنَاكَ

انْطَلَقَ الجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ نَحْوَ دِمَشْقَ فَدَخَلَ الغُوطَةَ وَاحْتَلَّهَا كَيْ لاَ يَأْمَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِمُسَاعَدَاتٍ وَتَمْوِينَاتٍ مِنْهَا، ثُمَّ حَاصَرَ دِمَشْقَ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الغَرْبِ عَلَى بَابِ الجَابِيَةِ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى البَابِ الصَّغِيرِ فِي الجَنُوبِ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى بَابِ تُومَا، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى بَابِ الفَرَادِيسِ (المَنَاخْلِيَّةِ) وَبَابَ السَّلاَمِ. وَاسْتَمَرَّ الحِصَارُ عِدَّةَ أَشْهُرٍ. وَاسْتَطَاعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ أَنْ يَقْتَحِمَ المَدِينَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّقَ عَدَدٌ مِنْ رِجَالِهِ الأَسْوَارَ، وَقَتَلُوا الحُرَّاسَ، وَفَتَحُوا البَابَ. فَأَسْرَعَ بَعْضُ رِجَالِ دِمَشْقَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَقَدُوا مَعَهُ الصُّلْحَ وَتَسْلِيمَ المَدِينَةِ، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ بَعْدُ أَنَّ خَالِداً قَدِ اقْتَحَمَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَهَكَذَا كَانَ دُخُولُ دِمَشْقَ نِصْفُهُ عُنْوَةً، وَنِصْفُهُ صُلْحاً.

بَعْد فَتْحِ دِمَشْقَ وَجَّهَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَمْرَو بنَ العَاصِ إِلَى فِلِسْطِينَ، وَشُرَحْبِيلَ بنَ حَسَنَةَ إِلَى الأُرْدُنِ، وَأَبَا الزَّهْرَاءِ القُشَيْرِيَّ إِلَى حَوْرَانَ فَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَسَيَّرَ جُنْدَ العِرَاقِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ خَالِدٍ إِلَى العِرَاقِ ثَانِيَةً بِإِمْرَةِ هَاشِمِ بن عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَيَّرَ خَالِدَ بن الوَلِيدِ إِلَى البِقَاعِ فَصَالَحَ أَهْلَهَا. وَوَلَّى عَلَى دِمَشْقَ يَزِيدَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ. وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى

الشَّمَالِ فَلَمَّا وَصلَ إِلَى ثَنْيَةِ العِقَابِ بَلَغَهُ تَجَمُّعَ الرُّومِ فِي مَنْطِقَةِ الصَّبُّورَةِ غَرْبِ دِمَشْقَ (مَرجِ الرُّومِ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَجَاءَهُمْ خَالِدٌ مِنْ الخَلْفِ، فَلَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إِلاَّ مَنْ شُرِّدَ، وَقَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَحَدَ بَطَارِقَتِهِمْ وَهُوَ (شَنس)، وَقَتَلَ خَالِدُ البَطْرِيقَ (تُوذْرَا) وَهُوَ قَائِدُ الرُّومِ يَوْمَذَاكَ.

وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ نَحْوَ حِمْصَ وَحَاصَرَهَا، وَلَحِقَهُ خَالِدُ وَشَارَكَ أَبَا عُبَيْدَةَ فِي الحِصَارِ، حَتَّى اسْتَسْلَمَتْ فَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بِالبِشَارَةِ وَخُمْسِ الغَنَائِمِ مَعَ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ.

أَرْسَلَ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى تَدْمُرٍ دِحْيَةَ الكَلْبِيَّ فَدَخَلَهَا، وَدَخَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ قِنَّسْرِينَ بِتَوْجِيهِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

أَمَرَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَمْرَو بنَ العَاصِ بِالسَّيْرِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، فَانْتَصرَ عَلَى الرُّومِ فِي أَجْنَادِينَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ فَوَجَدَ مُقَاوَمَةً عَنِيفَةً الأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ الجُيُوشَ الإِسْلاَمِيَّةَ تَضْطَرُّ إِلَى التَّوَجُهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ لِلْقِتَالِ مُجْتَمِعَةً مَرَّةً ثَانِيَةً.

كَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ قَدْ طَلَبَ نَجْدَةً مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ،

فَسَارَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ، وَوَصَلَ إِلَى الجَابِيَةِ. غَيْرَ أَنَّ المُسْلِمِينَ كَانُوا قَدِ انْتَصَرُوا فِي أَجْنَادِينَ - بِإِذْنِ اللَّهِ -. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ إِيلِيَاءَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلَامِ، أَوْ يَبْذِلُونَ الجِزْيَةَ، أَوْ يُؤْذَنُوا بِحَرْبٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ فِي جُنُودٍ، واستَخْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ. كَمَا سَارَتْ بَقِيَّةُ الأُمَرَاءِ بِمَنْ مَعَهَا مِنَ الجُنُودِ، وَحَاصَرُوا بَيْتَ المَقْدِسِ، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى أَجَابُوا إِلَى الصُّلْحِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِالأَمْرِ فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ، وَمَعَهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ تَلَقَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، فَتَرَجَّلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَتَرَجَّلَ عُمَرُ، فَأَشَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِيُقَبِّلَ يَدَ عُمَرَ، فَهَمَّ عُمَرُ بِتَقْبِيلِ رِجْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَكَفَّ أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَفَّ عُمَرُ(١) - اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَفْضَلَ الكَبِيرَ عِنْدَمَا يَتَوَاضَعُ، وَمَا أَكْرَمَهُ عِنْدَمَا يَعْرِفُ مَكَانَةَ أَهْلِ الفَضْلِ وَحَقِّهِمْ -.

وَصَالَحَ عُمَرُ نَصَارَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ إِجْلَاءَ الرُّومِ إِلَى ثَلَاثٍ. ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ مِنَ البَابِ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٢.

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.

وَقَالَ عُمَرُ لأَبِي عُبَيْدَةَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ عِنْدِي؟ مَا تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تُعصِّرَ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ. وَدَخَلَ عُمَرُ مَنْزِلَ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، قَالَ: أَيْنَ مَتَاعُكَ؟ لاَ أَرَى إِلاَّ لِبْداً وَصَحْفَةً وَشَنّاً وَأَنْتَ أَمِيرٌ، أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جَوْنَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا كُسَيْرَاتٍ، فَبَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ سَتُعَصِّرُ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، يَكْفِيكَ مَا يُبَلِّغُكَ المَقِيلَ. قَالَ عُمَرُ: غَيَّرَتْنَا الدُّنْيَا كُلَّنَا غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ(١).

وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَرْبَعَةِ آلاَفٍ، أَوْ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ بِهَا، قَالَ: فَقَسَّمَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مُعَاذٍ بِمِثْلِهَا، قَالَ: فَقَسَّمَهَا إِلاَّ شَيْئاً قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَخْبَرَ الرَّسُولُ عُمَرَ، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الإِسْلاَمِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا.

ثُمَّ سَارَ عُمَرُ إِلَى الجَابِيَةِ فَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَكَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ أَنْ يُوَافُوهُ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ إِلَى الجَابِيَةِ، وَتَأَخَّرَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه.

عَمْرُو بنُ العَاصِ وَشُرَحْبِيلُ حَيْثُ كَانَا لاَ يَزَالاَنِ فِي أَجْنَادِينَ حَتَّى فَرَّ أَرْطَبُونُ الرُّومِ إِلَى مِصْرَ وَمِنْهَا إِلَى بِلاَدِ الـرُّومِ عَنْ طَرِيقِ البَحْرِ. وَلَمَّا صَالَحَ أَهْلُ الرَّمْلَةِ وَتِلْكَ الجِهَـاتِ أَقْبَـلَ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ حَتَّـى قَدِمَـا الجَـابِيَةَ، فَوَجَدَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَاكِباً، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْهُ أَكَبَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَبَّلاَهَا، وَاعْتَنَقَهُمَا عُمَرُ مَعاً[1]. وَمِنَ الجَابِيَةِ سَارَ عُمَرُ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ[2]. وَرَجَعَ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى جِهَتِهِ.

عِنْدَمَا وَصَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى حِمْصَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ حَاصَرَهُ الرُّومُ فِيهَا فَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ فِي قِنِّسْـرِينَ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ، وَأَخْبَـرَ أَمِيرَ المُـؤْمِنِينَ بِمَـا حَدَثَ، فَطَلَـبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي العِرَاقِ أَنْ يُرْسِلَ نَجْدَةً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِإِمْرَةِ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو التَّمِيمِـيِّ، وَأَنْ يَسِيرَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ إِلَى أَهْلِ الجَزِيرَةِ الَّذِينَ مَالَؤُوا الرُّومَ. وَسَارَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ لِيَنْصُرَ أَبَا عُبَيْدَةَ.

تَرَكَ أَهْلُ الجَـزِيرَةِ مَوَاقِعَهُـمْ فِي حِمْصَ عِنْدَمَـا عَلِمُـوا أَنَّ الجَيْشَ الإِسْلاَمِيَّ بِإِمْرَةِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ. وَانْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُ

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٣.
(٢) هناك اختلاف في الروايات.

الرُّوم ِ فِي حِمْصَ عِنْدَمَا عَلِمُـوا بِمَسِير أَمِيرِ المُـؤْمِنِينَ عَلَـى رَأْس ِ قُوَّةٍ إِلَيْهِمْ إِذْ تَصَوَّرُوا حَمَاسَةَ المُسْلِمِينَ وَقُوَّةَ أَمِيرِهِـمْ وَشَجَاعَةَ مَنْ مَعَهُ. فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِقِتَالِهِمْ حَسْبَ رَأْيِ ِ خَالِدٍ فَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَصَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِلَى الجَابِيَةِ. وَوَصَلَ القَعْقَاعُ بنُ عَمْرٍو إِلَى حِمْصَ بَعْدَ انْتِصَارِ المُسْلِمِينَ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، وَعُـدَّ الجَمِيعُ ضِمْنَ المُشَارِكِينَ فِي القِتَالِ، وَنَالُـوا نَصِيبَهُـمْ مِنَ الغَنَائِـم ِ. وَأَمَّا عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ فَقَدْ صَالَحَ أَهْلَ الرِّقَةِ وَحَـرَّانَ وَالرُّهَـا، وفتح دير الزور. وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَـرِيَّ إِلـى نَصِيبِينَ، وَعُمَرَ بْـنَ سَعْدِ بْـن ِ أَبِـي وَقَّـاصٍ إِلَـى رَأْس ِ العَيْن ِ، وَعُثْمَانَ بنَ أَبِي العَاص ِ إِلَى أَرْمِينْيَا، وَفَتَحَ عَمْرُو بْـنُ مَالِكٍ قَرْقِيسَاءَ.

وَأَرْسَلَ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ أَخَاهُ مُعَاوِيَةَ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَفَتَـحَ المُـدُنَ السَّـاحِلِيَّةَ صُورَ، وَصَيْدَا، وَبَيْرُوتَ، وَجُبَيْلَ، وَعِرْقَةَ، وَطَرَابُلْسَ. وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَ قَيْسَارِيَّةَ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بن ِ الخَطَّابِ.

وَصَالَحَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَهْلَ حَلَبَ، وَأَهْلَ إِنْطَـاكِيَّةَ، وَاسْتَعَـانَ بِالجُرَاجِمَةَ ضِدَّ الرُّوم ِ، وَاضْطَرَّ إِلَى فَتْح ِ إِنْطَاكِيَّةَ ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ

نَقَضَتِ العَهْدَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا حَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيَّ وَرَجَعَ إِلَى الجَنُوبِ لإِنْهَاءِ وَضْعِ بَيْتِ المَقْدِسِ الَّذِي لَمْ يَتَمَكَّنِ المُسْلِمُونَ مِنْ فَتْحِهِ. كَمَا أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ كَانَ قَدْ عَادَ إِلَى المَدِينَةِ.

وَلَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الفُتُوحُ، وَانْتَهَى عَامُ الرَّمَادَةِ فِي الحِجَازِ، رَغِبَ عُمَرُ فِي زِيَارَةِ الشَّامِ، وَاتَّجَهَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الجَنُوبِ لاِسْتِقْبَالِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ عُمَرُ إِلَى بَلْدَةِ سَرْغَ شَمَالِ تَبُوكَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الأَرْضَ سَقِيمَةٌ، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ إِلَى المَدِينَةِ حَيْثُ قَالَ لاِبْنِ عَبَّاسٍ: إِصْرَخْ فِي النَّاسِ: فَقُلْ: إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَأَصْبَحَ عُمَرُ عَلَى ظَهْرٍ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَاراً مَنْ قَدَرِ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ فِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ... وَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهَذَا الوَبَاءِ بِبَلَدٍ فَلاَ تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِهِ فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ» فَقَالَ عُمَرُ: فَلِلَّهِ الحَمْدُ! انْصَرِفُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَانْصَرَفَ بِهِمْ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَ الطَّاعُونُ يُصِيبُ النَّاسَ أَرَادَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَنْ يُخْرِجَ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُرِيدُ أَنْ أُشَافِهَكَ فِيهَا، فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا أَلاَّ تَضَعَهُ حَتَّى تُقْبِلَ إِلَيَّ. فَعَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ مِنَ الوَبَاءِ. فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ إِلَيَّ، وَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لاَ أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنْهُمْ، فَلَسْتُ أُرِيدُ فِرَاقَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ وَفِيهِمْ أَمْرَهُ وَقَضَاءَهُ، فَحَلِّلْنِي مِنْ عَزْمَتِكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَدَعْنِي فِي جُنْدِي. فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الكِتَابَ بَكَى، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟ قَالَ: لاَ، وَكَأَنْ قَدْ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضاً غَمِقَةً، فَارْفَعْهُمْ إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ نَزِهَةٍ. فَلَمَّا وَصَلَ الكِتَابُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ دَعَا أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى، إِنَّ كِتَابَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَنِي بِمَا تَرَى، فَاخْرُجْ فَارْتَدْ لِلنَّاسِ مَنْزِلاً حَتَّى أَتْبَعَكَ بِهِمْ. قَالَ أَبُو مُوسَى: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي لأَرْتَحِلَ، فَوَجَدْتُ صَاحِبَتِي قَدْ أُصِيبَتْ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِي حَدَثٌ، فَقَالَ: لَعَلَّ صَاحِبَتَكَ أُصِيبَتْ! قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَمَرَ بِبَعِيرِهِ فَرُحِلَ لَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ

رِجْلَهُ فِي غَرْزِهِ طُعِنَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أُصِبْتُ، ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الجَابِيَةَ، وَرُفِعَ عَنِ النَّاسِ الوَبَاءُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا اشْتَعَلَ الوَجَعَ قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي النَّاسِ خَطِيباً، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هٰذَا الوَجَعَ رَحْمَةٌ بِكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ، فَطُعِنَ فَمَاتَ وَاسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ وَجَعَ عَمْوَاسَ كَانَ مُعَافَىً مِنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَهْلُهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَصِيبُكَ فِي آلِ أَبِي عُبَيْدَةَ! فَخَرَجَتْ بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي خِنْصَرِهِ بَثْرَةٌ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّها لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِيهَا، فَإِنَّهُ إِنْ بَارَكَ بِالقَلِيلِ كَانَ كَثِيراً.

وَعَنِ الحَارِثِ بنِ عُمَيْرَةَ أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَأَلَهُ كَيْفَ هُوَ؟ فَأَرَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ طَعْنَةً خَرَجَتْ فِي كَفِّهِ، فَتَكَاثَرَ شَأْنُهَا فِي نَفْسِ الحَارِثِ، وَفَرِقَ مِنْهَا حِينَ رَآهَا، فَأَقْسَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاللَّهِ: مَا يُحِبُّ أَنَّ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ.

انْطَلَقَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنَ الجَابِيَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ لِلصَّلَاةِ

فَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ ، فَأَدْرَكَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَجَلُهُ بِفِحْلَ قُرْبَ بِيسَانَ،فَتُوفِّي بِهَا وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

لَمْ يَكُنْ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَطْلُبُ المَوْتَ تَخَلُّصاً مِنَ الحَيَاةِ، فَهَذَا أَمْرٌ لاَ يَصِحُّ، وَإِنَّما كَانَ يَطْلُبُ الابْتِلاَءَ، إِذْ فَاتَتْهُ الشَّهَادَةُ فِي سَاحَاتِ القِتَالِ رَغْمَ مَا خَاضَ مِنْ مَعَارِكَ، وَرَغْمَ مَا بَذَلَ نَفْسَهُ، لِذَا فَهُوَ يَطْلُبُ الابْتِلاَءَ لِيَكُونَ لَهُ حِطَّةٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَيَرْوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِسَبْعِمِائَةٍ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى عِيَالِهِ أَوْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ رَفَعَ أَذىً فَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا، وَمَنِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِبَلاَءٍ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ لَهُ حِطَّةٌ» .

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو عُبَيْدَةَ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا عَنْ حَاجَةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ بُخْلٍ فَقَدْ كَانَ المَالُ لَدَيْهِ كَثِيرٌ، وَعَرَضُ الدُّنْيَا أَمَامَهُ مُتَوَفِّرٌ، وَإِمْكَانِيَّةُ الحُصُولِ عَلَيْهِ سَهْلٌ فَهُوَ أَمِيرُ أُمَرَاءِ جُيُوشِ الشَّامِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُنْفِقُ مَا يَأْتِيهِ عَلَى إِخْوَانِهِ وَمَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ حَاجَةً فَهُوَ كَرِيمٌ لاَ يُعَادِلُهُ رَجُلٌ فِي كَرَمِهِ، جَوَادٌ لاَ يُضَارِعُهُ آخَرُ فِي

جُودِهِ، مُحِبٌّ لأَصْحَابِهِ وَمُفَضِّلُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ. يَكْفِيهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبَلِّغُهُ المَقِيلَ.

وَمِثْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ فَلْتَكُنِ الرِّجَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

بَعْضُ مَا قِيلَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَة

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِجُلَسَائِهِ: تَمَنَّوْا، فَتَمَنَّوْا، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتاً مُمْتَلِئاً رِجَالاً مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا أَلَوْتُ الإِسلاَم، فَقَالَ: ذَاكَ الَّذِي أَرَدْتُ.

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ لاَسْتَخْلَفْتُهُ وَمَا شَاوَرْتُ فَإِنْ سُئِلْتُ عَنْهُ قُلْتُ اسْتَخْلَفْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَأَمِينَ رَسُولِهِ.

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ شَقِيقٍ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَيُّ أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ.

سَمِعَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَجُلاً يَقُولُ: لَوْ كَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَا

كَانَ بِالنَّاسِ دَوْكٌ (اختلاط) وذَلِكَ فِي حَصْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ مُعَاذُ: فَإِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَضْطَرُّ المُعْجِزَةُ لاَ أَبَالَكَ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَخَيْرُ مَنْ بَقِيَ عَلَى الأَرْضِ.